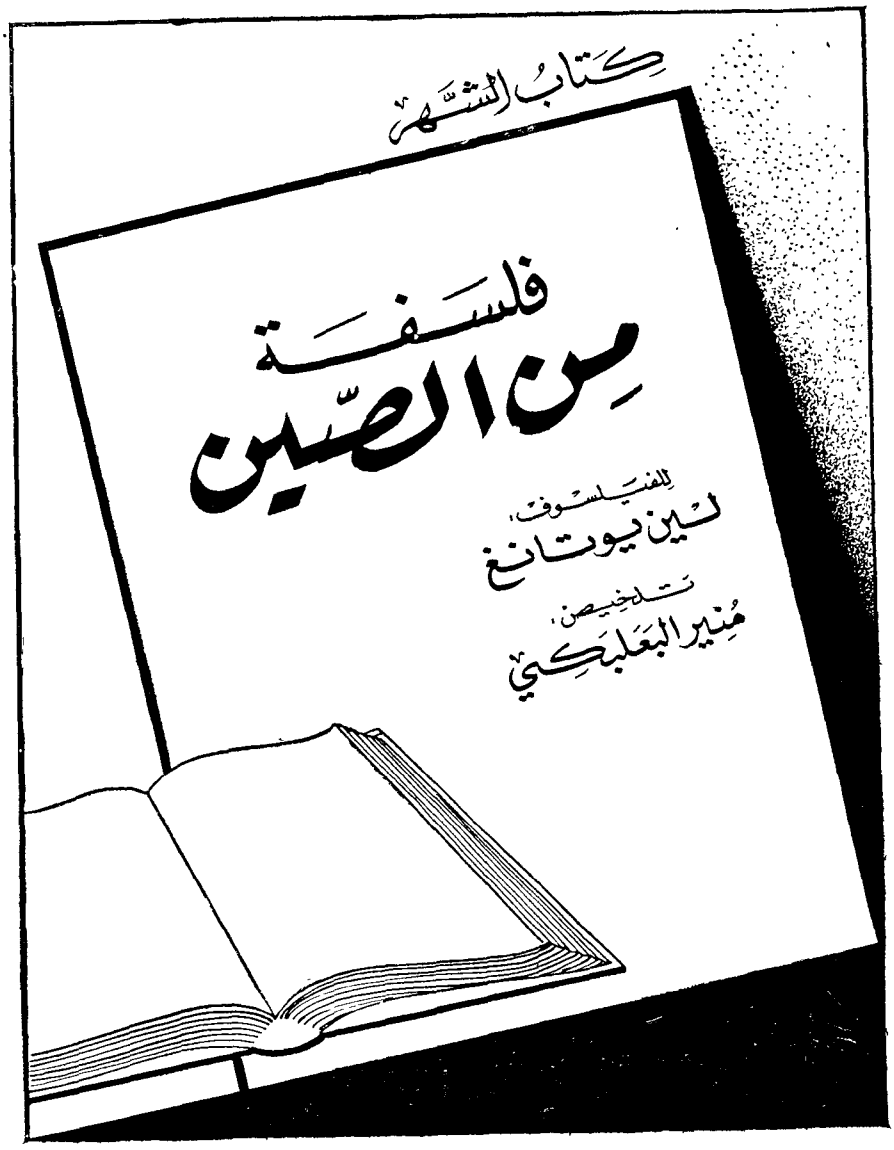

اذا كان لين يوتانغ اعظم فلاسفة الصين المعاصرين ، فليس من ريب في ان كتابه هذا يُعتبر اعظم ما اخرج للناس في السنوات الاخيرة . وقد استقبله النقاد الغربيون ، لدن صدوره في اميركة ، بترحيب كبير ، واعتبروه من الكتب التي لا يجود الزمان بمثلها إلا مرة في كل جيل ... قال ناقد « الايفننغ نيوز » في التعريف به : « إن في كل صفحة من صفحات هذا الكتاب لمتعة بالغة » ؛ وقال ناقد « السكوتسمان » في وصفه : « إنه كتاب ساحر ، وان الحكمة فيه لتتكافأ مع ما ينطوي عليه من فتنة وجاذبية ... »

ولم يخيب الجمهور ظن النقاد الذين تنبأوا له بسيرورة عظيمة ، فطبع الكتاب سبع عشرة طبعة في بضع سنين ، وكثيراً ما كان الشهر الواحد يستنفد الطبعة الواحدة من الاسواق ، فيَدفع الكتاب الى الطبع من جديد ...

وها هي ذي بين يديك ، الآن ، خلاصة امينة ، جهد الامكان ، لهذا السفر النفيس ، ولست اشك في انك ستقع فيها على فلسفة خفيفة فيها مرح وفيها تسامح ؛ فلسفة تدعو الى حب الحياة ، واحترام الجسد ، والارتباط بالارض دون السماء ؛ فلسفة قد لا تقر صاحبها على كثير من آرائه ، ولكنك لا تستطيع إلا ان تعجب بها لجدتها وطرافتها ، ولما يضج في جنباتها من تحد مزلزل ، وسخرية لاذعة ...

م . ب

١. اليقظة

« أ » تصدير

سأقدّم الى القاريء ، في هذا الكتاب، وجهة النظر الصينية في الحياة والأشياء ، كما صاغتْها أسمى العقول الصينية ، وكما عبّرت عنها في أدبها وحكمتها الشعبية . ذلك بأني أحسّ أن هذه النظرة الى الحياة صحيحة في جوهرها . وما دُمنا متشابهين في ما دون الجلد فأنّ ما يحرّك القلبَ الانسانيّ ويستثيرهُ في بلدٍ ما ، خليقٌ بأن يحرّكه ويستثيره في بلدان الارض جميعاً ...

إنّ الفيلسوف الصيني فيلسوف بحلم واحدى عينيه غير مُغْمضة . إنه ينظر الى الحياة في محبةٍ وسخرية حلوة ، ويمزج تهكّمه بتسامحٍ رفيق ، ولا يكاد يفيق من حُلْم الحياة حتى يغلبه النعاس من جديد ، شاعراً أنه في المنام اكثر حيويةً منه في اليقظة ، ومن ثمّ فهو يخلع على حياته اليقظى رداء من عالم الأحلام . إنه يرى وإحدى عينيه موصدة والإخرى مفتوحة ، إلى بُطلان كثير مما يجري حوله ومما يقوم هو به من نشاط ، ولكنه يحتفظ بقدر من الواقعية يمكّنه من احتماله والاستمرار فيه . وهو نادراً ما تنقشع غشاوة الأحلام عن عينيه لأ نه لا يعرف الأوهام ، ونادراً ما يصاب بخيبة الأمل لانه لا يعرف الآمال العريضة . بهذه الطريقة تتمتع روحه بالحرية والانعتاق.

والواقع أن المثل الاعلى للثقافة الصينية كان دائماً رجلاً يواجه الحياة بروحٍ من **الانفصال** (تاكووان takuan) مبنيّةٍ على أساسٍ من التحرّر الحكيم من أغلال السحر والفتنة . ومن هذا الانفصال، او المفارقة ، ينشأ **كِبَرُ النفس** (كووانغواي Kuanghuai) ، وهي سجية تمكّن صاحبها من ان يجوز طريق الحياة في سخرية متسامحةٍ ، ويتغلّب على صنوف الأغواء التي تحاول الشهرة والثروة والنجاح ان تخدعه بها ، ويرتضي آخر الأمر ما كُتِبَ له . ومن هذا الانفصال ينشأ ايضاً حسُّ الحرية عنده، وحبُّهُ التشرُّدَ والبوهيمية ، وعُجْبُهُ وعدمُ مبالاته. وبهذا الحسّ للحرية وعدم المبالاة فقط يستطيع المرء ان يتذوّق آخر الامر بهجة العيش الحادّة الكثيفة .

وبسببٍ من اختلاف العقل الصيني عن العقل الاوروبي اختلافاً عِرْقياً كبيراً وانعزاله عن العالم الثقافيّ الغربي انعزالاً شديداً يكون طبيعياً أن نقع عنده على أجوبةٍ جديدةٍ لمشكلات الحياة ، وعلى طرائق جديدةٍ لفهمها ، بل على طرحٍ جديد للمشكلات نفسها . فنحن نعرف بعض فضائل ذلك العقل وبعض مواطن الضعف فيه ، كما تتجلى لنا على الاقلّ في الزمان الماضي . إنّ له لفناً مجيداً ، وعلماً زهيداً ، وإنّ له لصدقَ نظرٍ رائعاً ، ومنطقاً صبيانياً ،ولغواً انسوياً بارعاً حول الحياة، وليس له أيّما فلسفة مدرسية او سكولاستيكية . ومن الشائع المتفق عليه بين الناس ان العقل الصيني عقلٌ عمليّ جداً وعنيد . كما يعرف محبُّو الفنّ الصينيّ أنه عقلٌ مرهف الحساسية الى ابعد الحدود ؛ ومن الناس من يعتبرهُ عقلاً شعرياً وفلسفياً قبل كل شيء . وعلى الاقل ، فان الصينيين معروفون بأنهم يأخذون الأمور أخذاً فلسفياً ، وهو معنىً أبعدُ من قولنا إنّ للصينيين فلسفةً عظيمة ، أو ان عندهم نفراً من الفلاسفة العظام . ذلك ان ظهور بضعة فلاسفة في أمةٍ ما ليس شيئاً غير مألوف ، ولكن أخْذَ امةٍ ما الامورَ أخذاً فلسفياً هو شيء مريع ... ومهما يكن من امر فان لأهل الصين فلسفة خفيفةً بهيجة . وخير صورة لمزاجهم الفلسفيّ إنما نقع عليها في فلسفة العيش الحكيمة المرحة التي نقصد الى تعريفك بها في هذا الكتاب .

« ب » النفسية الصينية

تمتاز النفسية الصينية بالحساسية المرهفة التي تكفل للصيني فهماً فنياً للحياة ، وتفسّر توكيد اهل الصين ان هذه الحياة الارضية جميلة حلوة ، كما تفسر بالتالي حبهم العارم لهذه الحياة . ليس هذا فحسب ، بل إنها تدلّ على فهمٍ فنيّ للفلسفة ايضاً . وهي تفسر لنا حقيقةً لا ريب فيها وهي ان نظرة الفيلسوف الصيني الى الحياة هي في جوهرها نظرة الشاعر الى الحياة ، وان الفلسفة في الصين تقترن بالشعر ، لا بالعلم كما هي الحال في الغرب . والواقع أن هذه الحساسية العالية لملاذّ الحياة وآلامها وتقلّب أحوالها وتغيُّر ألوانها هي الاساس الذي تنهض عليه الفلسفة الحقيقة. ذلك ان حسّ الانسان مأساةَ الحياة ناشيءٌ عن ادراكه الانفعالي للمأساة التي ينطوي عليها ربيعٌ راحلٌ ، وان حنوّهُ الرفيق على الحياة ناشيء عن حنوّه على الأزاهر الزاهية التي نوّرت بالأمس . إنما يأتي أولاً الحزنُ وحسُّ الهزيمة ، ثم تعقبهما اليقظة وقهقهة الفيلسوف الساخر القديم .

ويتحلى الصيني بقدر وافرٍ من الواقعية يحمله على تقبل الحياة كما هي ، وعلى الايمان بان عصفوراً في اليد خيرٌ من عصفورين على الشجرة . وهذه الواقعية تقوّي وتكمّل ، في آنٍ معاً ، توكيد الفنان ان هذه الحياة ذات جمالٍ فانٍ ، وهي تحول بين

الفنان والشاعر وبين الفرار من وجه الحياة الى الابد ...

ولكن المهمة الرئيسية لروح الواقعية هذه هي إقصاء كل ما هو غير اساسي عن فلسفة الحياة ، والتعلق بتلابيب الحياة كما هي ، خشيةَ أن تحملها أجنحة الخيال الى عالمٍ تصوّري جميل ولكنه غير حقيقي . وبهذه الواقعية ، وبضربٍ من الازدراء العميق للمنطق والفكر نفسه تصبح الفلسفة عند الصيني مسألة إحساسٍ مباشر وحميم بالحياة نفسها ، فهو يأبى ان يسجن نفسه في أيما نظامٍ فلسفي صارم . إن التابع لمذهبٍ فلسفي ما ، ليس غير طالبٍ من طلاب الفلسفة ؛ ولكن الانسان تلميذ الحياة ، بل لعله سيّدها .

«ج» العالم جدّي باكثر مما ينبغي

وأحسبُ ، بوصفي صينياً ، ان أيما حضارة لا يمكن ان توصف بالكمال ما لم تقم برجعةٍ واعيةٍ الى بساطة التفكير والعيش. ولستُ اطلق لفظ الحكيم على رجلٍ ما ، ما لم يتقدم من حكمة المعرفة الى حكمة الخَبَل ويصبح فيلسوفاً ضاحكاً يحس مأساة الحياة اولاً ، ويحس ملهاتها بعد ذلك . ذلك بأننا لن نستطيع ان نضحك إلا بعد ان نبكي . ومن الكآبة تنبثق اليقظة ، ومن اليقظة ينبثق ضحك الفيلسوف ، وتنبثق الرأفة واللطف والتسامح .

والذي أراه ان العالَم جدّي باكثر مما ينبغي ، وهو بهذا الوصف في أمسّ الحاجة الى فلسفةٍ حكيمة مستبشرة. وعندي ان وظيفة الفلسفة الوحيدة هي ان تعلّمنا كيف نتخذ من الحياة موقفاً أهونَ وأبهجَ من ذلك الذي يتخذه رجال الاعمال العاديون . وليست هذه مجرد فكرة عابرة ، ولكنها وجهةُ نظرٍ أساسيةٌ بالنسبة إليّ . فالحق ان العالم لن يصبح منزلاً يسوده السلام والعقل ما لم يُشْرِبِ الناسُ انفسَهُمْ هذه الروحَ المرحةَ الخفيفة . ان الانسان الحديث لينظر الى الحياة نظراً جدّياً مغالىً فيه ، ولهذا السبب نرى العالم اليوم زاخراً بالمتاعب وضروب البلاء .

٢. أنواع من النظر الى الجنس البشري

هناك انواع من النظر الى الجنس البشري، هي وجهة النظر المسيحية التقليدية اللاهوتية ، ووجهة النظر الاغريقية الوثنية ، ووجهة النظر الصينية الطاوية — الكونفوشيوسية . وسنعرض لكلٍّ منها في ايجاز .

« أ » وجهة النظر المسيحية

تذهب النظرة المسيحية الى ان الانسان خُلق كاملاً ، بريئاً ، أحمق ، سعيداً . وانه كان يعيشُ عاريَ الجسدِ في جنة عدن . ثم كانت المعرفة والحكمة و « خطيئة الانسان » التي ترجع اليها آلام البشر . ومقابل براءة الانسان وكماله الاصليَّين أدخِلَ عنصرٌ جديد لتفسير نقصه الحاضر ، وذلك هو الشيطان الذي يعمل من طريق الجسد ، في حين تعمل طبيعة الانسان العليا من طريق الروح .

ثم جاء القول بالفداء ، فأدّى ذلك الى اكتشاف وسيلة تُغْفَرُ بواسطتها الذنوب جميعاً ، والاهتداء الى طريق ترجع بالانسان كرّةً اخرى الى الكمال . والواقع ان اشدّ مظاهر الفكر المسيحيّ غرابة فكرةُ الكمال . وإذ قد حصلَ ذلك إبان اضمحلال العوالم القديمة فقد نشأت نزعةٌ الى توكيد الحياة الآخرة ، وحلت مسألة الخلاص محل مسألة السعادة او العيش البسيط نفسه . كان الاتجاه العام يهدف الى البحث عن وسيلة لنجاة الناس بأنفسهم من هذا العالم ، وهو عالم كان يبدو غارقاً في الفساد والفوضى ، مقدَّراً عليه البوار والهلاك . ومن هنا تلك الاهمية الطاغية التي عُلِّقَتْ على مسألة الخلود .

وهناك في المسيحية ايضاً اعتقادٌ بفسادٍ شامل ، وبأن الاستمتاع بهذه الحياة إثمٌ ورديلة ، وبأن كَوْن المرء منزعجاً غير مرفه يعني كونه فاضلاً، وبأن الانسان على الجملة لا يستطيع انقاذ نفسه الا بواسطة قوة كبرى خارجية .

« ب » وجهة النظر الاغريقية

وكان العالم الأغريقي الوثني عالماً مختلفاً في ذاته ؛ ومن هنا جاء تصور الاغريق للأنسان مختلفاً كل الاختلاف أيضاً. وأكثر ما يلفت نظري في هذا المجال أن الأغريق جعلوا آلهتهم مثل الرجال — فهي تعشق وتكذب وتحبّ الطرد والقنص — في حين رغب المسيحيون في ان يجعلوا الرجال مثل الآلهة .

وكان الأغريق يؤمنون بالله ويعتقدون بان نصيب الانسان هو الفناء وبانه قد يتعرّض في بعض الأحيـــان لمصائر قاسية وحشية . حتى اذا تقبّلوا هذه المقدمة في رضاً وارتياح سعدوا سعادةً بالغة بما هم عليه . ذلك ان الأغريق أحبُّوا هـذه الحياة وهذا الكون ، وعُنُوا بفهم الخـــير ، والحق ، والجمال ، الى جانب انهماكهم الكلي في فهم العالم الطبيعيّ فهماً علمياً ...

« ج »وجهة النظر الصينية

اما وجهة النظر الصينية فتقول إنّ الأنسان هو سيد الخليقة وتعتبرُ أنّ لهذا الأنسان — وهو لا يعـدو ان يكون روحاً حلت في جسد — بعض العواطف والرغبات وفيضاً من «الطاقة الحيوية » أو « الطاقة العصبية » اذا شئت . وليست هذه ، في ذاتها ، صالحةً أو طالحة ، ولكنها مجرد شيء لا ينفصل عن الحياة الأنسانية السوية . فلجميع الرجال والنساء شهوات ورغبـات طبيعية ، وآمالٌ نبيلةٌ ، وضميرٌ أيضاً . وهم يعرفون الشهوة الجنسية والجوع والخوف والغضب ، ويتعرّضون للمرض والألم والعذاب والموت . وانما تقوم الثقافة على التوفيق بين ضروب التعبير عن هذه الشهوات والرغبات وإيقاع الانسجام في مـــا بينها . وتلك هي وجهة النظر الكونفوشيوسية التي تقول باننا اذا عشنا في انسجام مع الطبيعة البشرية التي أعطيناها استطعنا أن نصبح مساوين للسماء والأرض. أما البوذيون فينظرون الى رغبات الجسد الفانية نظرة المسيحيين في القرون الوسطى اليها ، أعني شراً يجب التخلص منه . وقد يتقبّل بعض الرجال والنساء

الشديدي الذكاء أو النزّاعين الى الاستغراق في التفكير وجهة النظر هذه فيصبحون رهباناً وراهبات ، ولكن الحصافة الكونفوشيوسية تحرّم ذلك في الأعمّ الأغلب .

« د » الرباط الأرضي

إنّ الأنسان يريد أن يحيا ، ولكن حياته تلك يجب أن تكون فوق هذه الارض . ذلك باننا من الأرض، عليها وُلدْنا وبها نحن مرتبطون . وليس ثمة مبررٌ لانزعاجنا من حقيقة كوننا ضيوفاً مؤقتين على هذا الكوكب . وحتى لو كانت الأرض سجناً مظلماً إذن لتعين علينا أن نتقبلها في صبرٍ وتجمّل. وإنه لمن الكفر بالنعمة أن لا نفعل ذلك عندما نُعْطَى ، بدلاً من ذلك السجن المظلم ، مثلَ هذه الأرض الجميلة لنعيش عليها جزءاً صالحاً من القرن. إننا نغالي في الطموح، في بعض الأحيان فنزدري هذه الأرض المتواضعة ، السخية في آنٍ معاً . ومع ذلك فأن علينا أن نُكنّ عاطفةً من الودّ الصحيح لهذا المنزل المؤقت الذي تنزله أجسادنا وأرواحنا ، إذا ما كنّا نطمع في أن نحظى بالانسجام الروحيّ الحقّ .

وليس من ريب في أن أيما فلسفة عملية صالحة يجب أن تتخذ من الاعتراف بواقعية الجسد نقطة انطلاقٍ لها. ولقد تأخر كثيرٌ منا في التسليم بأننا حيوانات ، وهو تسليم لا مفرّ منه بعد أن أقيم الدليل على صحة النظرية الداروينية ، وبعد التقدّم العظيم الذي حققه علم الأحياء (البيولوجيا) والذي حققه علم الكيمياء الحيوية بخاصة . والحقّ ان غلوّنا في توكيد الروح كان مهلكاً إلى ابعد الحدود . فقد جعلنا في حرب مع غرائزنا الطبيعية ، وجعل من المتعذر علينا تكوين فكرةٍ كلية عن الطبيعة البشرية. وإنما نبع هذا الغلوّ أيضاً من معرفة ناقصة بعلم الأحياء ، وعلم النفس ، وبمقام الحواس والشهوات والغرائز على وجه التخصيص في حياتنا . إن الانسان ليتألف من جسدٍ وروح، ومن واجب الفلسفة أن تعمل على أن يعيش العقل والجسد في انسجام وتناغم، وأن تسعى الى التوفيق بينهما .

« هـ » وجهة نظر بيولوجية

إن التقدم الذي طرأ على معرفتنا بوظائفنا الجسدية وعملياتنا العقلية خليقٌ به أن يساعدنا على تكوين نظرة أصح وأوضح عن أنفسنا ، وأن يُبعد عن كلمة « حيوان » بعض رائحتها البشعة القديمة . وقد يبدو ذلك غريباً ، ولكنه صحيحٌ من غير ريب. فالشيء المهم ليس هو القول إن عملياتنا الهضمية رفيعة أو وضيعة، الشيء المهمّ هو مجرد فهم هذه العمليات، وعندئذ تصبح بطريقةٍ بالغة الرفعة ، عريقة النبل . وهذا يصح في كل وظيفة بيولوجية من وظائف بدننا ، من العرق والتغوّط ، الى وظائف العصارة البنكرياسية والغدد الصمّ وغيرها . والواقع ان احداً لم يعد يحتقر الكليتين ولكنه يكتفي بأن يقوم بمحاولة افهمهما ، وأن احداً لم يعد ينظر الى السن المتسوسة بوصفها رمزاً على فناء جسدنا النهائي ، ومذكراً بضرورة الاهتمام بالروح قبل كل شيء، ولكنه يجتزيء بالسعي الى طبيب الاسنان ليفحصه ويسد خلله. ولا خلاف في ان الرجل الذي يغادر عيادة طبيب الاسنان خليق به أن يستبدل باحتقار اسنانه احتراماً متعاظماً لها ، إذ سيكون في ميسوره بعدُ ان يقضم التفاح، ويعرق عظم الدجاج في متعةٍ بالغة ....

لقد لقننا العلم احتراماً متزايداً لاجسادنا من طريق تعميق إحساسنا بدقة تكوينها وإعجاز تنظيمها . فقد اخذنا نفهم ، في المحل الأول ، شيئاً عن نشأتنا الأولى ، ورأينا انفسنا متربعين على رأس شجرة الأنساب الخاصة بالمملكة الحيوانية بعد إذ كنا نعتقد اننا مخلوقون من صلصال من فخار . وقد اخذ اعجابنا يتزايد ، في المحل الثاني ، بجمال الجسم البشري وغموضه المحير للعقول . والواقع ان ضروب النشاط التي تقوم بها الاجزاء الداخلية من جسدنا والتناغم القائم بينها لتضطرنا الى ان نقف ذاهلين أمام الصعوبة البالغة التي اقيم بها هذا التناغم ، والسهولة البالغة التي يتم بها على الرغم من ذلك ...

فكيف نزدري الجسد اذا كان يتكشف عن هذا الاعجاز كله ؟ وأياً ما كان ، فقد اعطتنا الطبيعة جسداً هو آلةٌ تغذي نفسها بنفسها ، وتعدّل نفسها بنفسها ، وتصلح نفسها بنفسها ، وتبدأ عملها بنفسها ، وتتوالد بنفسها ، وتعيش شأن ساعات اجدادنا الصالحات ثلاثة ارباع قرن... إنها آلةٌ مزّودةٌ ببصرٍ لاسلكي ، وبسمع لاسلكي ، وبجهاز من الاعصاب والانسجة الليمفاوية يفوق احدث أجهزة التلفون والتلغراف تعقيداً ...

وتتمتع هذه الآلة ، فوق ذلك كله ، بحسّ لاتساق الحياة، وبحس للزمان ، لا يشمل الساعات والايام فحسب ، بل عشرات السنين أيضاً . فالجسم البشري يعدّل طفولته الخاصة وسن مراهقته ونضجه ، ويقف عن النمو حين ينبغي له ان يقف ، ويُطلع سن العقل في وقت لم يسبق لاحد منا ان حسب له حساباً . وهو يصنع ضروباً خاصة من الترياق ، ضد السموم ، وإنها لتنجح

نجاحاً باهراً في الجملة . وإنما يُنتج الجسم ذلك كله في صمت مطلق ، ومن غير تلك الجلبة التي تضج بها المصانع المعروفة ، لكي لا ينزعج فلاسفتنا الميتافيزيقيون ذوو الشعور الرقيق ، ولكي يفرغوا للتفكير في ارواحهم تفكيراً هادئاً ...!!

٣. تراثنا الحيواني

ولكن اذا كانت هذه النظرة البيولوجية تساعدنا على أن نقدّر جمال الحياة وحسن اتساقها حق قدرهما فانها تُظهر أيضاً مواطن قصورنا المضحكة . والواقع اننا حين نتلطف في تذكير انفسنا باننا أبناء الانسان النياندرتالي ، بل أبناء القرود التي على هيئة الانسان ، خليقٌ بنا أن نحقق القدرة على أن نضحك من آثامنا ومواطن قصورنا ، وعلى ان نُكبر في الوقت نفسه براعتنا القردية ، وهذا ما ندعوه حِسّ الملهاة الانسانية ...

« أ » على صورة القرد ...

في استطاعتنا ان ندرك الآن أننا خُلقنا على صورة القرد، لا على صورة الألـه كما تقول النظرة التوراتية ، وأننا بعيدون عن الالـه الذي هو عنوان الكمال بُعْدَ جماعة النمل عنا . إننا بارعون جداً ، وكثيراً ما يصيبنا الغرور بسبب من هذه البراعة ، لأن لنا عقلاً مفكراً ، ولكن العالِمَ البيولوجي يخبرنا ان العقل ، ليس على اية حال ، غير تطوُّر متأخر جداً ، في ما يتصل بالتفكير الجلي ، واننا نملك الى جانب العقل مجموعةً من الغرائز الحيوانية او الوحشية التي تفوق العقل قوة والتي تفسّر سلوكنا الخاطيء بوصفنا افراداً وفي حياتنا الجماعية...

« ب » في كوننا غير مخلدين

إن ثمة نتائج خطيرة تَلْزَمُ عن ملكيتنا لهذا الجسد الفاني : أولها اننا غير مخلدين في الارض ، وثانيها ان لنا معدة ، وثالثها ان لنا عضلات ، وآخرها ان لنا عقلاً طُلَعَةً كثير الفضول . وهذه الحقائق عميقة الاثر في الحضارة الانسانية . وهي ، لوضوحها البالغ ، قليلاً ما تكون محل تدبرنا وتفكيرنا . ولكننا لن نفهم انفسنا وحضارتنا ما لم ننظر في هذه النتائج ونفهمها احسنَ الفهم .

وأحسبُ ان الديمقراطية كلها ، والشعر كله ، والفلسفة كلها إنما تنطلق من تلك الحقيقة التي تتلخص في ان كلًا منا ، امرأةً كنا ام شحاذين ، مقصورٌ على جسدٍ يبلغ طوله خمسة اقدام او ستة اقدام ، ويعيش عمراً يبلغ خمسين سنة او ستين سنة. وعلى الجملة فان هذا التدبير يبدو ملائماً الى ابعد الحدود ، فنحن لسنا شديدي الطول ولسنا شديدي القصر ، وان خمسين او ستين سنة لتبدو دهراً طويلًا الى درجة مخيفة ؛ وهي مرتبةٌ بطريقةٍ تجعلنا نرى بُعَيْدَ ولادتنا بعض أجدادنا العجائز الذين لا يلبثون ان يقضوا نحبهم . حتى اذا ما اصبحنا نحن اجداداً شهدنا ولادة فوجٍ جديد من الاطفال الصغار . وهذا في ما يبدو يجعل الوضع على غاية الكمال ...

وديموقراطية الموت نادراً ما تكون محل نظرٍ وتقدير ، من كثرة الناس المطلقة . والواقع انه لولا الموت لما عنت جزيرة القديسة هيلانة شيئاً بالنسبة الى نابوليون، ولستُ ادري ما الذي كان يمكن ان تشهده اوروبة من أحداث ، في مثل هذه الحال . ولولا الموت لما كانت ثمةَ سِيَرٌ تبسط لنا اعمال الابطال او الفاتحين ؛ وحتى لو وُجدت هذه السير لكان واضعوها خليقاً بهم أن يتفوا ممن يترجمون لهم موقفاً اقلَّ عطفاً وأحوج الى المشاركة الوجدانية ...

« ج » في كوننا ذوي معدة

ومن النتائج المهمة لكوننا حيواناتٍ أنَّ لكل منا ذلك التجويف الذي لا قعرَ له ، والذي ندعوه المعدة . والواقع ان امتلاكنا معدةً تطلب الطعام ابداً قد ترك طابعه الخاص في التاريخ البشري . وفي فهمٍ كريمٍ للطبيعة الانسانية حَصَر كونفوشيوس رغبات الانسان الكبرى في شيئين اثنين : التغذية والتناسل ، او قل إنه حصرها، بتعبير اسهل ، في الطعام والشراب والنساء . والحق ان كثيراً من الناس مكروا بالغريزة الجنسية ، ولكننا لا نعرف قديساً استطاع ان يمكر بحاجته الى الطعام والشراب .

واهل الصين يرون الحياة جميلةً حين تمتلىء معدهم وامعاؤهم امتلاء حسناً . ومن هذه المعدة الحسنة الامتلاء تُشِعُّ على وجه الصيني سعادة روحية حقاً . ذلك ان الصيني يعتمد على الغريزة ، وإن غريزته لتُعلمه بانه حين تكون معدته في أحسن

احوالها يكون كل شيء حسناً ...

وعندي ان السبب الذي من أجله عجز الصيني عن تطوير علمي النبات والحيوان هو ان العالم الصيني لا يستطيع ان يحدّق الى سمكة ما من غير ان تستحوذ عليه الرغبة في التهامها ... والسبب الذي يحملني على عدم الثقة بالجراحين الصينيين اني اخاف ، اذا ما عهدت الى طبيب صيني في اجراء جراحة في كبدي لاستئصال حصاة المرارة ، ان ينسى الحصاة ويضع كبدي في مقلاةٍ من المقالي !...

وجديرٌ بالملاحظة ان غريزة الجوع هذه لم تُحَطّ بمثل ما احيطت به الغريزة الجنسية من ضروب التحريم الديني والاجتماعي، وانه لم تنبثق عنها — على وجه العموم — أيما مشكلة اخلاقية او مَنْقبيّة moral . والناس اقل تكلفاً للعفة في موضوع الطعام منهم في موضوع الجنس . ومن سعادة حظّ الجنس البشري ان في استطاعة الفلاسفة والشعراء والتجار واهل الفن ان يجتمعوا كلهم على طعام ، وان يقوموا بمهمة تغذية أنفسهم علانية من غير ان تحمرّ وجوههم لذلك ، على الرغم من ان العرف يفرض على الفرد ، في بعض القبائل المتوحشة ، ان لا يَطعَمَ شيئاً الا بعد ان يخلو الى نفسه ...

هذا من ناحية . ومن ناحية ثانية فان من سوء طالعنا الشديد ان الطبيعة لم تحْبُنا بحوصلةٍ او كِرْش . ولو قد فعلت الطبيعة ذلك إذن لتغير المجتمع الانساني تغيراً جذرياً ، وإذن لعَمَرَ الارض جنسٌ بشري من نوع جديد . ذلك بان جنساً من البشر مزوّداً بحواصل او اكراش خليقٌ بأن تكون له طبيعة من اكثر الطبائع مسالمة وقناعة ورضاً ، شأن الدجاجة او الحمل . ونحن قمينٌ بنا عندئذ أن تصبح لنا مناقير تغير حسّنا للجمال ، وقد نجتزيء ببعض الاسنان القارضة . وقد نجد في الحَبّ والفاكهة غذاء كافياً ، وقد نرعى الكلأ في جانب الأكمة الاخضر . ولن نكون بحال من الاحوال هذه الكائنات الفظيعة المولعة بالحرب، شأننا اليوم ، لاننا سنكون في ذلك الوضع في غير ما حاجة للقتال من أجل طعامنا ، وفي نجوةٍ من ان نمزق باسناننا لحم اعدائنا المغلوبين .

والصلة بين الطعام والمزاج أوثق مما نظن بكثير . فجميع الحيوانات آكلة العشب مسالمة بطبيعتها على ما ترى في حال الحمل والحصان والبقرة والفيل والدُّوري ، وجميع الحيوانات آكلة اللحم مقاتلةٌ بطبيعتها على ما ترى في حال الذئب والاسد والنمر والصقر . ولو قد كنا من آكلي العشب إذن لكانت طبيعتنا اكثر مسالمةً من غير ريب . ذلك بان الطبيعة لا تُحدث مزاجاً شرساً مخاصماً حيث لا تقوم الحاجة الى صراعٍ او قتال . فالديكة يقاتل بعضها بعضاً ، ولكنها لا تتقاتل على الطعام ، بل على الجنس اللطيف ...!

« د » في كوننا ذوي عقل

وقد تقول : لعل العقل البشري هو أنبل نتاج تمخّضت عنه الخليقة . وهو قول جديرٌ بأن يسلّم به سواد الناس ، وخاصة حين يشير الى عقل كعقل أديسون او البرت آينشتين . بيد ان العقل المتوسط فاتن اكثر منه نبيلاً. ولو قد كان العقل المتوسط نبيلاً إذن لكنا مخلوقاتٍ عقلانيةً rational مئة بالمئة ، مخلوقاتٍ لا تعرف الاثم ولا الضعف ولا الشذوذ ، وأجدِرْ بالعالم ان يصبح ، عندئذٍ ، تافهاً الى ابعد الحدود ...

اعتَبِرْ تطور العقل الانساني تجد أنه كان في الأصل عضواً مهمّته تحسس الخطر والحفاظُ على الحياة . أما أن هذا العقل قد انتهى آخر الأمر الى أن يَقْدُرَ المنطقَ والمعادلة الرياضية الصحيحة فذلك ما أعتبره مجرد مصادفة ، إذْ ليس من ريب في أنه لم يُخْلق لهذا الغرض . لقد خُلِقَ ليستروح الطعام ، واذا كان قد استطاع بعد ذلك ان يستروح معادلةً رياضيةً مجردةً فزيادةٌ في الخير ...

ولعلك تعجب اذا قلت لك إني اكره أن أحيا الى زمنٍ نكون فيه كلنا مخلوقاتٍ عقلانيةً كاملةً . هل يعني هذا أني لا أثق بالتقدم العلمي ؟ لا . ولكنه يعني أني لا أثق بالقداسة . هل أنا من الذين لا يؤمنون كثيراً بسموّ العقل ؟ ربما كان الجواب نعم ، وربما كان لا . كل ما في الأمر أني رجلٌ أحبُّ الحياة ، وبسببٍ من حبي العميق للحياة أراني أستَريبُ كثيراً بالعقل . تخيل عالماً ليس فيه جرائم قتل تُنْشَر قصصها في الصحف ، عالماً يتمتع أفرادهُ جميعاً بقدر من الحكمة يمتنع معه اشتعال النار في بيت من البيوت ، وسقوط طائرةٍ ما من طبقات الجوّ ، عالماً لا يهجر فيه زوجٌ زوجَهُ ، ولا يفرّ منه قسٌ مع فتاة الجوقة ، ولا يتخلى فيه ملك عن عرشه في سبيل الحبّ ، عالماً يتقدم كل فرد من أفراده لتنفيذ خطةٍ رسمها لنفسه منذ سنّ العاشرة ، بدقةٍ منطقية ، وعزمٍ حديد . تخيل مثل هذا العالم وقل على عالمنا البشري السعيد السلام ! والواقع أن كل ما تنطوي عليه الحياة من إهاجة وغموض خليق بأن يزول في مثل

حقائق ك.ل.م. العشر

١ – **الاقدمية** : ك.ل.م. اقدم شركة للطيران في العالم .

٢ – **المهارة** : ك.ل.م. تعاين وتصلح الطائرات التابعة لثماني عشرة شركة اخرى للطيران .

٣ – **الخبرة** : ك.ل.م. التي تستعمل احدث الطائرات وافخمها يعود اليها الفضل بادخال ابرز التحسينات في حقل تجهيز الطائرات وراحة الركاب .

٤ – **الثقة** ، ك.ل.م. نالت على التوالي في السنوات التسع الاخيرة جائزة الامان السنوية لعموم اميركا إذ لم يحصل اي حادث ، في هذه المدة ، لركاب طائراتها او لربابنتها .

٥ – **السرعة** : ك.ل.م. نالت الجائزة الاولى في سباق الهنديكاب الدولي بين انكلترا واوستراليا .

٦ – **الخدمة** : ك.ل.م احتلت مكانتها الاولى في الصف الاول اعتماداً على خدمة الركاب وانشراحهم بنوع خاص.

٧ – **الدقة** : بالنظر الى دقة مواعيد ك.ل.م. التي اصبحت مضرب الامثال فان عشرات الملايين ينتظرون يومياً مرور طائراتها فوق رؤوسهم لمعرفة الوقت بدقة.

٨ – **الاقدام** : ك.ل.م. اول شركة طيران في اوروبا انشأت خطوطها عبر المحيط الاطلسي واول شركة في العالم انشأت خطوطها فوق الشرق كله .

٩ – **الانتشار** : خطوط ك.ل.م. تربط خمساً وستين دولة وسبعاً وتسعين مدينة بطول الارض وعرضها ولا تزال تمتد سنة بعد سنة .

١٠ – **الشهرة** لذلك هي تحتفظ بكل فخر ، منذ ثلاثين سنة بلقب « الملكية » التي تحمله وحدها في العالم ، ولذلك يعتمدها ، في طليعة من يعتمدها ، للسفر اكثر الملوك والرؤساء والوزراء .

هذا العالم . بل لن يكون في مثل هذا العالم أدب ، لأنه لن يكون ثمّ إثم ، أو رذيلة ، أو ضعف بشريّ أو تغرضات أو مفاجآت . إنه أشبه ما يكون بميدان لسباق الخيل احتشد فيه خمسون الف متفرج كلٌّ واحدٍ منهم على علم سابقٍ بالفرس الذي سيفوز بقصب السبق !

٤ . في كوننا بشراً

« أ » الكرامة الانسانية

« ولكن ألا تظن أن الأنسان هو اكثر الحيوانات إذهالاً وإدهاشاً ، اذا كنتَ تصر على أننا حيوانات ؟» إني لأقرُّ ذلك وأثنّي عليه . فقد اخترع الأنسان حضارة ، وليس هذا بالشيء القليل . وقد يكون ثمة حيوانات أجمل من الأنسان وأحسن شكلاً وأنبل تكويناً ، كالفرس مثلاً ؛ وحيوانات اقوى عضلاتٍ منه ، كالأسد ؛ او اكثر انقياداً ووفاءً ، كالكلب ؛ أو احدّ بصراً ، كالنسر ؛ او أقدر على الضبط الذاتي والعمل الشاق ، كالنملة ... ومع ذلك فأن في القرد شيئاً يجعلني أوثرهُ على جميع هذه الحيوانات ، وإنّ في الأنسان شيئاً من فضول القرد وبراعته يجعلني أفضل أن اكون إنسانا . صحيح أن النمل أحسن تنظيماً من بني الأنسان ، ولكن هل عند جماعة النمل مكتبة أو متحف ؟ لا . وحالما تخترع النملة أو الفيل مرصداً عملاقاً ، أو تكتشف نجما جديداً ، أو تتنبأ بحدوث كسوف شمسي أراني مستعداً لأن أقرّ لأي منهما بزعامة العالم . أجل ، في ميسورنا ان نفخر بانفسنا ، ولكن من الخير ان نعرف ما الذي ينبغي الافتخار به ، وبكلمة ثانية ، ان ندرك جوهر الكرامة الأنسانية .

والكرامة الانسانية إنما تتألف من خصائص أربع ، هي الفضول المرح ، والأحلام ، وروح الدعابة التي تصحح هذه الأحلام ، والتقلب والتمرد .

« ب » في الفضول المرح : نشأة الحضارة الانسانية

كيف بدأ الماكر البشري ارتقاءه سلم المدنية ؟ ليس من

ريب في أن الجواب عن هذا السؤال ينبغي ان يُلتمس في فضول الأنسان المرح ، في محاولاته الأولى تلمّس الأشياء بيديه وتقليبه إياها ظهراً لبطن ابتغاء فحصها ودرسها ، كما يقلب القرد في ساعات فراغه جفن قرد آخر أو شحمة أذنه بحثاً عن القمل او لمجرد التقليب ليس غير . إذهب الى حديقة للحيوانات وراقب قردين يعالج كل منهما أذن الآخر تجد في برديهما نواةً لعالم كاسحق نيوتن أو البرت آينشتين !..

وهذا التصوير لنشاط اليد المتلمسة المكتشفة ليس كلاماً مرسلاً على عواهنه . إنه حقيقة علمية. فأساس الحضارة الانسانية نفسه إنما بدأ عندما تحررت يدا الانسان ، نتيجة اصطناعه وضعاً منتصباً ، وصيرورته ذا رجلين اثنتين . ومثل هذا الفضول المرح يمكن أن نشاهده حتى في القطط حالما تتحرر قوائمها الأمامية من مهمة السير والنهوض بعبء الجسم .

ولأنسَ لحظة اني لست عالماً بيولوجياً ولأطلق لتأملاتي العنان حول نشأة الحضارة الانسانية من تحرر اليدين هذا . فالحق ان اصطناع القامة المنتصبة وما عقبه من تحرر اليد كانت له نتائج بعيدة الأثر . فقد ادى ذلك إلى استعمال الادوات ، والى الحياء ، والى إخضاع المرأة الخ ...

من المعروف المشهور ان الحضارة الانسانية بدأت باكتشاف الأدوات ، وان هذا الاكتشاف انبثق عن نشأة اليدين وتطورهما . ولكن ما قولك اذا زعمت لك ان نشوء الحياء الجنسي عند الانسان ، وهو ما تجهله الحيوانات جهلاً تاماً ، انما يرجع هو الآخر الى تلك القامة المنتصبة أيضاً؟ ذلك لأن انتصاب القامة أدى الى أن تحتلّ بعض أجزاء الجسم الخلفية نقطة متوسطة من الجسد ، فأذا الذي وضعته الطبيعة في المؤخرة ينتهي الى ان يصبح في المقدمة . ورافق هذا الوضع الجديد ضروب أخرى من سوء التعديل أصابت المرأة بخاصة ، فهي تضعُ حملها قبل إبانه ، وهي تعاني آلاماً طمثية مبرحة . والحق ان عضلاتنا قد نشأت وتطورت ، من ناحية تشريحية ، وفق الوضع الخاص بذوات الأربع. فأنثى الخنزير مثلاً تحمل اجنتها في بطنها وهي معلقةٌ على شكل افقي ، بسلسلتها الفقرية ، كما يتدلى الغسيل من الحبال المنصوبة بصورة توزع ثقله توزيعاً ملائماً . وليس من ريب في ان تكليف المرأة الحامل ان تقف منتصبة القامة اشبه ما يكون بأقامة الحبل عمودياً وتوقّع بقاء الغسيل على وضعه الأصلي ...

وادت هذه الحال الى اخضاع النساء . ولو قد كانت الأم البشرية قادرة على ان تمشي على أربع اذن لما اخضعت لسلطان زوجها بحال . والواقع ان قوتين اثنتين عملتا ههنا في آن معاً. فمن ناحية ، كان الرجال والنساء في ذلك الوقت كائنات متبطلة فضولية مرحة ، فاتخذت الغريزة الحبية ضروباً من التعبير جديدة . ذلك بأن التقبيل كان لا يزال غير سائغ ولا ناجح ، على ما نرى حين يقبل قردٌ قرداً بفكيه الغليظين ، المصفقين ، الناتئين . فأنشأت اليد حركات جديدة ارق وأنعم ، هي التربيت والمداعبة والدغدغة والعناق ، وكلها ثمرات عارضة لمحاولة الرجل اقتناص القمل الساري على جسم المرأة ، ومحاولة المرأة اقتناص القمل السارح على جسم الرجل ... ولست اشك في ان الشعر الغنائي ما كان يمكن ان ينشأ لو كان اجدادنا الشُّعر * خالين من القمل وأضرابه ...

ومن ناحية ثانية فان الانثى البشرية الحامل انتهت الى ان تُخْضَع ، الآن ، لفترة أطول من العجز الأليم . فهل يكون عجيباً بعد ذلك ان تلجأ الأم البشرية الى طرائق جديدة ، وان تتودد الى الرجل لاستدرار عطفه وحبه ، فاقدة بسبب من ذلك ما كانت تتمتع به من روح الاستقلال ؟

« ج » في الاحلام

يقولون ان الاستياء إلهي ، ولكني واثق على أية حال من أن الاستياء إنساني . والواقع ان القرد كان اول حيوان عبوس ، فأنا لم اشهد في الحيوانات وجهاً كئيباً حقاً غير وجه الشيمبانزي . وكثيراً ما خطر لي ان الشيمبانزي لا بد ان يكون فيلسوفاً ، لأن الحزن والتفكير ابنا عمومة ، وانا أقرأ في وجهه ما يؤذن بأنه يفكر ويقدّر ...

ولعل الفلسفة بدأت ، اول ما بدأت ، مع روح الضجر والاستياء . ومن خصائص البشر ، على أية حال ، الحزن والغموض والتوق الدائب الى مثل أعلى . ذلك ان الانسان برغم عيشه في عالم واقعي ، نزّاع دائماً الى ان يحلم بعالم آخر . ولعل الفرق بين الانسان والقردة هو ان القردة يعتريها السأم ولا شيء وراء السأم ، في حين ان الانسان يجمع الى السأم والضجر خيالاً . فنحن جميعاً نرغب في الخروج من الجُحْر القديم ، ونحن جميعاً نود ان نكون غير ما نحن ، ونحن جميعاً تراودنا احلام عريضة ...

* جمع «أشعر» ، والاشعر هو الكثير الشعر الطويل .

والامم تحلم ايضاً ، وان ذكريات احلامها لتعمر اجيالاً وقروناً . وبعض هذه الاحلام شريف ، وبعضها لئيم وضيع . فاحلام الفتح والتوسع على حساب الآخرين هي ابداً احلام رديئة ، في حين ان الحلم بعالم افضل وبالسلم والوئام شيء صالح. والناس يقاتلون دون احلامهم كما يقاتلون دون ممتلكاتهم المادية ، وهكذا تهبط الاحلام من عالم الرؤى وتلج عالمَ الحقيقة لتصبحَ قوة فعالة في حياتنا .

« د » في روح الدعابة والظرف

الذي أحسبه ان الناس لا يقدرون الدعابة والظرف حق قدرهما، ولا يدركون اثرهما في تغيير وجه الحياة الثقافية كلها...

ومن اخطر الخطر ان يكون حكامنا غير قادرين على الابتسام ، لأن هؤلاء الحكام يسيطرون على السلاح كله . ولا نستطيع ان ندرك اهمية الدعابة في دنيا السياسة الا اذا تخيلنا عالماً يتولى مقاليده نفر من عباقرة الظرف والفكاهة . أرسل مثلاً خمسة او ستة من ابرع الرجال في هذا الميدان الى مؤتمر دولي وزوّدهم بصلاحيات مطلقة كصلاحيات الحاكمين بأمرهم ، تجد العالم قد نجا من خطر الحرب ورزاياها . دع برنارد شو يمثل ايرلندة ، وستيفان ليكوك يمثل كندا، وألدوس هاكسلي يمثل انكلترة ، وروبرت بنتشلي يمثل الولايات المتحدة ، واختر لتمثيل ايطالية وفرنسة والروسيا والمانيا رجالاً من الطراز نفسه ، ثم ارسلهم جميعاً الى مؤتمر يعقد عشية حرب عالمية ، وانظر ما اذا كان في وسعهم ان يبدأوا حرباً جديدة ، مهما جهدوا في ذلك وأسرفوا في التماس الاسباب . وهل تستطيع ان تتخيل هذه العصبة من الديبلوماسيين الدوليين تشنّ حرباً او ترسم الخطة لحرب ؟ إن روح الدعابة والظرف تمنع ذلك وتأباه ...

تلك في ما اعتقد الوظيفة الكيميائية التي تؤديها الدعابة : أنْ تغير طابع تفكيرنا وصفتَهُ العامة. وأحسبُ انها تمتد بعيداً الى جذور الثقافة نفسها وتمهد السبيل لبزوغ فجر عصر جديد تسود فيه الناسَ روحُ الاعتدال، وتهيمن عليهم قوة الادراك، والتفكير السهل ، والمزاج المطمئن ، والاستشراف outlook المثقف . وذلك بان العالم المثالي لن يكون عالماً عقلانياً ولا عالماً كاملاً باي معنىً من المعاني ، ولكنْ عالماً تُدْرَكُ فيه نواحي الضعف في يُسر وسهولة ، وتسوّى فيه المنازعات في دراية وتعقل .

٥ . عيد الحياة

« أ » غاية الحياة الاستمتاع الحق بها

يشمل الاستمتاع بالحياة أموراً كثيرة ، من مثل إبهاج ذواتنا ، وتمتعنا بالحياة العائلية، والاشجار، والازهار، والسحب والأنهار ، والشلالات وغيرها من بدائع الطبيعة وعجائبها ، وتذوقنا للشعر ، والفن ، والتأمل ، والصداقة ، والحديث ، والمطالعة ، وهي كلها ضروب من تواصل الأرواح واتحادها . وبعض هذه الأمور واضح كل الوضوح من مثل الاستمتاع بالطعام ، وبحفلة بهيجة أو باجتماع عائلي ، وبعضها اقل وضوحاً كالاستمتاع بالشعر والفن والتأمل. ولقد وجدت من المتعذر عليّ أن اسمي هذين الصنفين من المُتَع باللذات المادية واللذات الروحية، لأنني لا أؤمن بهذا التمييز ، من ناحية، ولأنني لا أقضي العجبَ كلما حاولتُ أن اقوم بهذا التصنيف من ناحية ثانية . إذ كيف استطيع ان اعيّن ، حين أرى الى جماعة من الشبان والشابات والشيوخ والأطفال في نزهة مرحة ، أيَّ جزء من ملذاتهم هو ماديّ ، وايَّ جزء منها هو روحي ؟ إني لأرى طفلاً يتقلب على العشب ، وآخر ينضد عقوداً من الأقحوان ، وأرى الأم ممسكةً بشطيرة أو ساندويش ، والعم ينهش تفاحةً حمراء ذات ماء ، والأب متمدداً على الثرى يتطلع إلى قطعان الغيم يسوقها حادي الريح ، والجد مستغرقاً في تدخين غليونه اللذيذ . ولعل امرءاً ما يدير بعض الاسطوانات على الحاكي ، وهكذا تنبعث من مكان بعيد وشوشات الموسيقى الحالمة ، وزمجرات الأمواج القصية . فأيّ هذه المباهج مادي وأيها روحي ؟... إن تقسيم اللذات الى مادية وروحية مَدْعاة الى اللبْس ، وهو فيما أرى ناشيء عن فلسفة مغلوطة تحتاج الى تصحيح .

ولكنْ ما لنا ولهذا ، ولنحاول الآن ان نجيب عن هذا السؤال : ما هي الغاية من الحياة البشرية؟ الواقع أني من القائلين بان الغاية من الحياة هي الاستمتاع الحقّ بها ، وأن المشكلة التي تواجه كل من يولد على ظهر هذه الأرض ليست مشكلة الهدف الذي يتعين عليه اتخاذه ، في هذه الحياة ، ثم العمل على بلوغ

ذلك الهدف ، ولكنها مجرد ما ينبغي ان يعمله بهذه الحياة التي مُنِحَها لمدة من الزمن تتراوح ، في المتوسط، بين خمسين عاماً وستين عاماً ؟

« ب » السعادة الانسانية حسية

إن السعادة الانسانية كلها سعادة بيولوجية . وتلك حقيقة يؤيدها العلم تأييداً بالغاً . وخشية أن يساء فهمي أسارع فأضع هذا الحكم في صيغة أوضح فأقول : إن السعادة الانسانية كلها سعادة حسية . بل إني لاذهب الى ابعد من ذلك فأزعم أن السعادة تكاد تكون بالنسبة الي شخصياً مسألة هضم .. ذلك بانه اذا تحركت أمعاء المرء تحركا نظامياً كان سعيداً ، واذا لم تتحرك تحركا نظامياً كان أبعد الناس عن السعادة ... أليس كذلك ؟

ولنحاول أن ننفذ الى الوقائع فندرس في ما بيننا وبين أنفسنا حقيقة اللحظات السعيدة في حياتنا . والواقع أن السعادة كثيراً ما تكون ، في عالمنا هذا ، سلبيةً بمعنى أن انعدام الأسى او الغم او الألم الجسدي انعداماً كاملاً يضفي على المرء ثوب السعادة . فاللحظات السعيدة حقاً بالنسبة اليّ أنا ، مثلاً ، هي التالية: عندما أنهض صباحاً بعد ليل من النوم ملء الجفنين، وأتنشق هواء الصباح فتتسع رئتاي ، وعندما اكون في حال مساعِدَة على العمل ، وعندما أمسك بيدي غليوناً وأريح رجليَّ على كرسيٍّ والتبغ يشتعل في تؤدة ويُسر ، او عندما استرخي بعد غداء كامل في كرسي ذي ذراعين وآخذ باطراف الحديث مع رفاق ليس فيهم شخص واحد أكرهه ...الخ

وكما يتعذر علي ان اقرر ما اذا كنت احب اولادي جسديا ام روحياً حين أسمع الى اصواتهم الثرثارة او حين أنظر الى ارجلهم الممتلئة ، كذلك أراني عاجزاً عن التمييز ما بين مباهج العقل ومباهج الجسد . وهل ثمة إنسان يستطيع ان يحب امرأة ما روحياً من غير ان يحبها جسديا ؟ وهل من اليسير على الرجل ان يحلل ويصنف مفاتن المرأة التي يحبها ، وفيها أشياء من مثل الضحك ، والابتسام ، وطريقة تحريك الرأس ، واتخاذ موقف معين من الأمور ؟ وأيا ما كان فجميع الفتيات يشعرن بمزيد من السعادة حين يرفلن بثوب قشيبة فاتنة . وإن في احمر الشفاه واحمر الخدود لقدرةً على تنشيط النفس والسمو بها ، قدرةً حقيقية تستشعرها الفتاة نفسها وإن لم تخطر للروحانيين على بال. واذ كنا مركبين من هذا الجسد الفاني ، فقد لزمَ ان يكون التقسيم الذي يفصل جسدنا عن روحنا رقيق الحواشي الى حد بالغ ، وان يتعذر الوصول الى عالم الروح ، بانفعالاته الرفيعة وتقديره الأسمى للجمال ، الا من طريق حواسنا . فليس ثمة مَنْقبية او لا منقبية في حاسة اللمس وحاسة السمع وحاسة البصر. وراغلب الظن ان فقداننا القدرةَ على الاستمتاع بمباهج الحياة الايجابية راجع في معظمه الى حَساسية حواسنا المتناقصة وعدم اصطناعنا لها اصطناعاً كاملاً .

منير البعلبكي

أفضل موسم لزيارة القطر المصري
ومشاهدة آثار الاقصر التاريخية

٢٠٠ ل.ل. ذهاباً وإياباً

بيروت – القاهرة – الاقصر

مع حق التخلف بالقاهرة للمدة المرغوبة
بالذهاب والاياب بواسطة

شركة مصر

الشركة التي تنتهز كل موسم لتسهيل
السياحة باسعار هي في متناول الجميع

يعمل بهذه الفرصة لغاية ٣١ آذار ١٩٥٣

لكافة المعلومات وتذاكر السفر راجعوا الوكلاء **حتى اخوان** بيروت - ساحة البرج - المعرض تلفون ١٧/٥٢٠ و ٣٥/١٦